الاسلام دين الفطرة .. صالح لكل زمان ومكان

للشيخ محمد مرسي محمد - المدرس بالجامعة

أيها الاخ المسلم ، تعـــال بنـا نستعرض تشريعات الاسلام فى كل نواحيه ، من عقيدة وعبادة ومعاملة،وأخلاق واجتماع ، لنرى انها سايرت الفطر السليمة النظيفـــة ، التى لم تتدنس بتقاليد أفقدتهـــا الاحساس الواعى الفاهم ، الـــذى يستطيع ان يدرك الغث من السمين ، والجيد من الزيف ، فاختلط عليهـــا الامر ،وانقلبت عليها الاوضـــاع ، فظنت الحسن قبيحا ، والقبيـــح حسنا ،وسارت فى متاهـــات الشهـــوات والاهواء ، حتى أصبحت كمـــا قال الشاعر الحكيم :

يقضى على المرء فى أيام محنته ... حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

نعم ، تعال بنا نستعرض مسائل الاسلام ، ولتكن أولى المسائل العقيدة: دعاك الاسلام الى عبادة الله وحده ، ونهاك عن عبادة غيره أيا كـــان هذا الغير ، وبين لك ان الله خص بالعبادة دون سواه ، لانه مالك الامر كله ، ليس لاحد معه من عمل ، فهو الخالق الرازق المعطى المانع المحى المميت ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده وحده الخير «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير» ثم برهن فى الاية نفسها على قدرته على ذلك فقال : «تولـــج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وتـــرزق من تشاء بغيـــر حساب» **واذن فمن العبث أن يستمد الانسان العون من غير ربه ، وأن يطلب تحقيق آماله من غير خالقه ، فهو المسئول وحده ، ولايملك احد لاحد شيئا مهما أوتى من جاه او سلطـــان ، فالجاه والسلطان مستمدان من الله سبحانه ولو شـــاء أن يسلبهما لسلبهما ، ودروس الايام عبرة وذكرى ،والذكرى تنفع المؤمنيـــن ، ألم تر الى قـــول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الامـــة لو اجتمعوا على أن ينفعـــوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الاقـــلام وجفـــت الصحف»** وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى القرآن اذ يقول :«قل لاأملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء ، ان أنا الا

Made With Pdf Office

نذير وبشير لقوم يؤمنون» من هذا كله نستطيع أن ندرك فساد فطر هؤلاء الذين وكلوا أمورهم الى غير الله، وظنوا أنهم واصلون الى أغراضهم ماداموا في احضان من اتخذوهم درعا واقية من دون الله ، ولهذا عاشوا أذلاء ، وسيموتون كذلك ، وهاهو ذا الحديث القائل :«من استعز بالله عز ، ومن استعز بغير اللهذل» وهاهو ذا القرآن يقول : «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون»

المسألة الثانية ، العبادة والمعاملة، وهى فى تنوعها عامل هام من عوامل تكوين الشخصية الاسلامية الحقة ، التى تعرف لله حقه ، وللناس حقوقهم ، فتكون أسلوبا من الهداية، وعنوانا على الخير الجامع الشامل ، قل بربك ، ماهذا الانسان الذى يقف بين يدى ربه ، وفى محرابه ، يركع له ويسجد له ، ويؤدى عبادة الصلاة فى خشوع ان دل على شىء ، فانما يدل على عبودية خالصة لله ، هى التطبيق العملى الذى يتجاوب مع العقيدة ، عقيدة الاخلاص لله والاستعانه به ، انه المسلم الذى يعد عنوانا واضحا على الاسلام الحق، والايمان الحق ، «اياك نعبد واياك نستعين» وجميل من القرآن ان يعقب هذا بطلب الهداية الى طريق الله المستقيم «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» ٠

أيها الاخ المسلم ، ماأروع أن ترى المسلمين صفوفا متراصة ، منتظمة متحدة فى حركتها وسكونها ، فى ركوعها وسجودها ، تأتم بامام واحد، يسبق الى فعل الاركان فيتبعه جميع المؤتمين به ، وهكذا تراهم يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ويستمعون لقراءته ، ويؤمنون على دعائه ، ولاينتهون من صلاتهم الا بانتهائه ، وماهذا كله الا الوحدة والنظام واتباع الامر وحسن الاقتداء فى رغبة وحب ، لا فى اكراه وبغض»

ولو استعرضت جميع الشرائع الوضعية الموجودة مهما كان نظامها، ومهما كان وضعها ، لاتراها تخلق فى الجماعة هذا النظام المحكم ، ولاهذه الطاعة التى تنبع ن القلب ، فكانت كما قدمنا حبا ورغبة ، لاكراهية وبغضا ، وهكذ لو استعرضت جميع العبادات من صيام وزكاة وحج ومالى ذلك من تبيان الحلال والحرام فى كل شىء ، لبان لك ان تشريع الله مابنى الا على أساس المصلحة، التى تحقق السعادة الجامعة الشاملة للفرد والمجموع ٠ هذا التشريع السماوى ،ذو الحكمة العالية السامية صالح لكل جماعة ، فى كل مكان ، وفى كل زمان، ومهما تغيرت الايام واختلفت السنون باحداثها ومسائلها ، فان هذا التشريع السماوى ، ذو الحكمة العالية السامية صالح لكل جماعة ، فى كل مكان ، وفى كل زمان ، ومهما تغيرت الايام واختلفت السنون باحداثها ومسائلها، فان هذا التشريع لايتغير بتغيرها ، ولايتبدل بتبدلها ، بل هو صالح لها على جميع اوضاعها ، ضامن لاهل كل زمان السعادة اذا ماعملوا باحكامه واستمسكوا بادابه ، وهاهم أولاء المسلمون الاولون، استطاعوا بايمانهم واستمساكهم بدينهم ان يملكوا العالم من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ، استطاعوا أن يهزوا عروش الاكاسرة والقياصرة ، ويجلسوا على عرش

Made With Pdf Office

الدنيا ملوكا حكاما وأئمة اعلاما ، وقد حقق الله لهم وعده فى قرآنه : «وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا»

أيها الاخ المسلم :

آذا قلت لك ان تشريع السماء صالح لكل زمان ومكان ، أستطيع ان أقول لك ان تشريع الارض غير صالح لهما ، ولذلك نراه دائما فى تغيير او تبديل ، ومايشرع اليوم ينقض غدا، ومايصلح لهذه الجماعة لايصلح للجماعة الاخرى، ولذلك نرى لكل طائفة من طوائف العالم تشريعها ودستورها الملائم لحال أهلها ، لان الشرائع تتطور بتطور الامم ، وتتغير بتغير أحوالها ، فتوضع الشرائع الوضعية موافقة لحال العصر الذى وضعت فيه ، والبيئة التى سنت من أجلها ، وكثيرا مايظهر نقص التشريع، وتتكشف نواحى الضعف فيه ، فيستنون شرائع اخرى ، وهكذا دواليك ، لااستقرار لتشريع وضعى مهما كان واضعوه ، لان العقل البشرى مهما أوتى من قدرة على الفهم وتقدير الاوضاع ، لايسلم من الاخطاء ،ولهذا لم يترك الله الناس لعقولهم ، بل أرسل اليهم رسلا مبشرين ومنذرين، يرشدونهم الى الحق ، ويوجهونهم الى صراط الله المستقيم ، الذى قال فيه سبحانه : «وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» .

نعم ، تشريع الله لايتغير أبدا ولايتبدل ، لان واضعه حكيم عليم بأحوال الامم وأوضاعها ، فوضع لها التشريع الذى يحمل فى طياته سعادة البشرية جمعاء ، مهما كانت احوالها، ولهذا اعترف كثير من مستشرقى الغرب بدين الاسلام كسبيل الى الاصلاح العام الشامل للفرد والمجموع ودستور ينقذ الانسانية من دوافع الشر وعوامل الفساد ،وهاهو ذا رجل انجليزى مستشرق ، يقول فى احدى المجلات الانجليزية : (لو بعث محمد بن عبدالله يحمل كتابه فى يديه لامكن ان ينقذ سفينة العالم من الغرق) وسئل الكاتب الانجليزى المعروف بأدبه وفلسفته (برنارد شو) مارأيك فى الاسلام ؟ قال : الاسلام حسن ، ولكن أين المسلمون !

للحديث بقية

الجماهير

قال تعالى (وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك)

وقال الشاعر :

اتبع حكيما ودع جمهورهم أترى ... يألف رأس حمار عقل انسان ؟

Made With Pdf Office